أهمية المكان في غزوات الرسول "صلّى الله عليه وسلم" ودوره في صناعة الحدث

هالة حسني بيدس، شوكت علي درويش *

ملخص

يسعى البحث إلى إبراز أهمية المكان وحضوره في بعض غزوات الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – وما كان له من أثر فاعل في النصّر، فضلا عن دوره بوصفه ركنا مفصليا ينصهر في بوتقته كل من يسكنه من أفراد وجماعات.

إذ يشرفون في الزمان والمكان، ففي الزمان مثلا شهر رمضان، وفي المكان مكّة المكرمة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس. والإنسان متعلق بالمكان، يحنّ إليه وهذا الحنين يصبح مرتبطا بالمكان ويصبح مألوفا له، وبخاصّة مع ذكريات النصر، فالتاريخ يرتبط بالمكان بوصفه أحد متعلقاته.

فاختيار المكان في تلك المواقع له أثره في مجريات الأحداث في التاريخ الاسلامي، فقد ارتبط المكان بالغزوة وأعطاها بعدا تاريخيا وشهرة.

لهذا، نرصد في البحث أهمية المكان وخصوصيته ودوره في صناعة الحدث في مسيرة الإسلام، كما عُني البحث بتتبع تلك الغزوات تاريخياً وإبراز مكامن المكان فيها، لاسترجاع ذكرياته، مما يؤسس قاعدة لرؤية جديدة أكثر وضوحا، إذ إن المكان الذي نتناوله كان مسرحا رحبا لجلّ الأحداث التي دارت في رحابه وشعبه.

الكلمات الدالة: المكان، بدر، أحد، حُنين، الطائف.

المقدمــة

تهدف هذه الدراسة إلى إضاءة جانب مهم على وقائع معينة حدثت في تاريخنا الإسلاميّ تمثل مرحلة حاسمة من مراحل الدعوة الإسلامية، التي أرسيت من خلالها دعائم الدولة الإسلاميّة، فكانت لنا وقفة عند غزوة بدر وأحد وحُنين والطائف لسبر غور المكان في كلّ غزوة.

فقد شهد المكان غزوات الرسول وسجّل لها، صفحات ناصعة انبعثت منها رائحة التاريخ، ورائحة البطولة ورائحة الدم التي زكّت المكان وعطرت ترابه.

والغزوة في اللغة: طلب العدو والسير إلى قتاله وانتهابه.

غزا الشيء غزواً: أراده وطلبه، والغزوة: ماغُزي وطلب.

وقالوا: غزاة واحدة، يريدون عمل وجه واحد. أما الغزوة فهي المرّة الواحدة من الغزو، وفي جمع غاز: غزّاء، مثل فاسق وفسّاق، وغزاةٌ: مثل قاض وقضاة.[1]

وقد سمّى مؤرخو السيرة النبوية ما حضره النبيّ – صلى الله عليه وسلم – من المواقع (غزوة) حارب فيها أم لم يحارب.

وتلك الغزوات التي اختيرت تنضوي تحت مرحلة الحرب الدفاعية، منها ما كان صدّا لهجوم قام به الأعداء ومنها ما كان رداً على اعتداءاتهم؛ ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ مشروعية القتال إنّما كان بعد الهجرة، وهذه المشروعية وضعت قيد التنفيذ في غزوة بدر.

اهتم هذا البحث بدراسة المكان ودوره واستنطاقه في تلك الغزوات وأثره في إحراز النصر بما أتيح من مصادر تاريخية، ومحاولة تبيان المواقف والرؤى التي واكبت الحدث، وكان اختيار المكان في تلك المواقع لما له كبير الأثر والأهمية في مجريات الأحداث. فلقد ارتبط المكان بالغزوة وأعطاها بعداً تاريخيا رسمت معالم الغد فيما بعد.

فكان للمكان رؤية واضحة في إبراز عظمة الحقبة التاريخية وشاهد على الإنجاز الذي تم على أيدي المجاهدين؛ فالمكان يرسم ذاكرة زمانية إنسانية حضارية تتجلى من خلال هوية الإنسان وحياته، وهي جديرة بالتدبر والتأمل، والتبصر فيها هو تبصر في الحياة ذاتها، لأنّ المكان مرتبط بالحياة، والحياة في دوالٍ، كما أنّ المكان يحمل حقيقة مكانية وزمانية واجتماعيّة وإنسانية وتاريخية التي تحرك فيها الحدث.

كما برزت أهمية المكان في قيمة اختيار أرض الغزوة بما فيها من حضور الوادي والصحراء والرمال والتلال والجبال

* مركز اللغات، الجامعة الاردنية. تاريخ استلام البحث 2013/6/25، وتاريخ قبوله 2013/10/3.

© 2014 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

والثنيّة والقُليب وما لها من دلالات تركت بصماتها واضحة على المكان وخصوصيته، وهذا ما سينهض البحث على تناوله.

كما ارتأينا أن نتناول الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التي واكبت الواقعة والمكان وأظهرت قيمة هذا العنصر في مجريات الأحداث ونتائجها.

وهذا يدلل في الوقت نفسه على العلاقة الجدلية بين المكان التاريخي وزمانه وتجعل من الجغرافيا الحاضن الأساس للتاريخ، فما نعيشه من أحداث هو نتاج التطورات التي بدأت في الماضي، كما يتبادل التاريخ نشاط الإنسان في المكان والزمان.

وينحو هذا البحث نحوا تاريخيا استقرائيا اعتمده كثيرون من أمثال ابن هشام، والطبري، والحموي وغيرهم.

والمكان في علم العربية: هو صيغة "اسم مكان" للفعل كان،تدل على مكان وقوع الفعل، مما يعني أن المكان مرتبط بأن نكون، أي بوجودنا، فمن لا مكان له لا وجود له، ولا استقرار لإنسان أو لأي كائن من الكائنات من غير مكان يرتبط به ويلوذ إليه [2] ويلجأ في كل فترات حياته ومنعطفاتها.

واللافت ذكره، أنّ الإنسان يشرف في الزمان وفي المكان، ففي الزمان مثلا في شهر رمضان المبارك، وفي المكان، في مكّة المكرمة، وفي المدينة المنورة، وفي القدس، حيث يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "**لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى**"[3].

وقيل: لا، نفي معناه نهي، أي: لا تشدّوا إلى غيرها لأن ما غير الثلاثة متساو في الرتبة غير متفاوت وكان الترحل إليه ضائعاً وعبثاً [4].

وقد يرتبط مكانان معاً في الشرف كما قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ [5]، أي من مكة المكرمة إلى بيت المقدس لينبهنا ربّ العزة إلى أهمية المكان، وما حوله من أمكنة جانبية متممة لقدسية المكان ونرى ذلك جليا في حديث رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – حديث الهجرة ومخاطبته – صلّى الله عليه وسلّم – مكة المكرمة: " **والله إنّك لأحب الأرض إلي، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنّ أهلك أخرجوني منك ماخرجت** " [6].

وكذلك يشرف المكان بالشخص، وخير دليل عليه مقالة الأنصار وخطبة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فيهم يوم حُنين حين أفاء الله على رسوله – صلى الله عليه وسلم – من أموال هوازن ما أفاء.

وقد روى ابن اسحق عن أبي سعيد الخدري قال: " لما أعطى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أعطى من تلك العطايا في قريش، وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، حتى كثرت فيهم القالة [7]، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إنّ هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت؛ قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء، يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي. قال: فاجمع لي قومك في تلك الحظيرة، فأتاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم وجِدَةٌ وجدتموها علي في أنفسكم [8] ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالةً فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، والله ورسوله أمنّ وأفضل.

وقال الرسول – صلّى الله عليه وسلّم –: " **أما والله لو شئتم لقلتم، فصدقتم وتصُدّقتم: أتيتنا مكذّبا فصدّقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة [9] من الدنيا** ".

فرد عليهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ألا ترضون يا معشر الأنصار أنْ يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –؟ فالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى اخضّلت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – قسما وحظا [10].

نستلهم من هذا الحدث التاريخي أنّ رسولنا – صلّى الله عليه وسلّم– اتبع منهجا تربويا فريدا في تعامله مع الأنصار، فقد خاطب عقولهم فانقادوا طائعين، وأراد بحكمته أن يحول تلك القلوب من حب الدنيا إلى حب الاسلام، وقد استبصروا في الوقت ذاته أنّ للمدينة المنورة (مكان) شأناً عظيما في حياتهم وفي حياة المسلمين كافة. وهو شرف المكان بوجود الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– في حياته وبعد مماته.

تلك الغزوات المباركة كانت دروسا عملية للمسلمين، ففيها تطبيق للعقيدة الإسلامية، وهذا النهج النبوي الكريم أدخل أمة العرب قي سجل التاريخ الإنساني والحضاري.

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ

مُسَوِّمِينَ* وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ* لِّيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَائِبِينَ ﴾.[11]

بَـــدْر

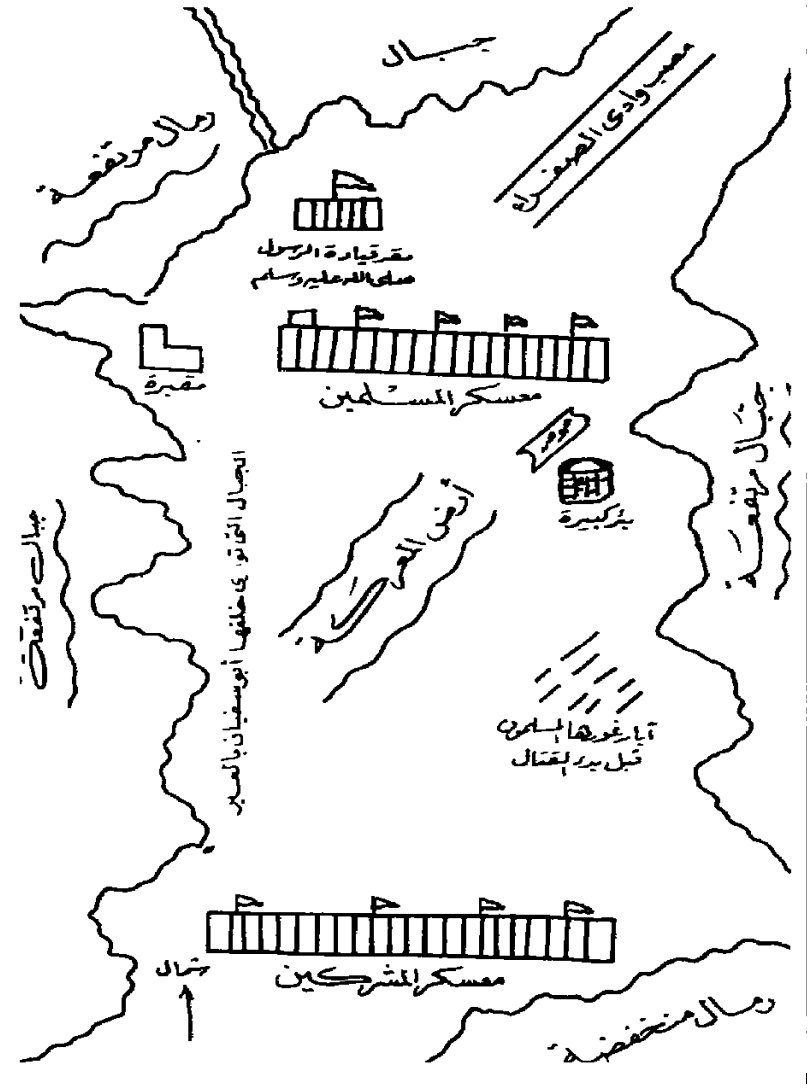

خريطة لأرض الموقع (ميدان معركة بدر)

المصدر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – عمادة البحث العلمي

بدر: "هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة، كان نزلها. ويقال بدر بن الحارث، ويقال بدر اسم البئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يرى فيها. وحكى الواقدي إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غفار، وإنما هي مأوانا ومنازلنا وما ملكها أحدٌ قط يقال له بدر، وإنما هو علم عليها كغيرها من البلاد".[12]

وبدر: وادٍ يقع بين مكة والمدينة على بعد 28 فرسخا من المدينة، وكان به غزوة بدر المشهورة في صدر الإسلام[13] ويقال هي على بعد 155 كيلومترا جنوب غربي المدينة تحيط بها جبال شواهق من كلّ جانب، وليس فيها إلا ثلاثة منافذ، منفذ في الجنوب، وهو العدوة القصوى، ومنفذ في الشمال وهو العدوة الدنيا، ومنفذ في الشرق قريبا من منفذ الشمال يدخل منه

أهل المدينة، وكان طريق القوافل الرئيس بين مكة والشام يمرّ من داخل هذا المحيط،وكان فيه المساكن والآبار والنخيل،فكانت تنزل القوافل، وتقيم فيها ساعات وأياماً" [14]

وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة."[15]، أي أنّه موسم من مواسم العرب. وبدر: قرية صغيرة (مكان) قرب المدينة وقعت فيها المعركة المشهورة بين المسلمين والمشركين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، أي نصركم في يوم بدر وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة 624م، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين، ليهلك طائفة من الذين كفروا [16].

نرى أنّ بدرا كانت مكانا مهما لأسباب عدة منها:

– أن الماء متوفر فيها، وهذا ما يحتاجه العربي في حلّه وترحاله.

– حصانة موقعها وقلة منافذها.

– أنها احدى اسواق العرب في الجاهلية.

– بدر طريق القوافل الرئيس بين مكة والشام، ومقام القوافل لساعات وأيام.

قال تعالى جلّ ثناؤه: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ [17]

من بيتك: يريد بيته في المدينة، أو المدينة نفسها، لأنها مَهَاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه. وفي هذه الآية تنويه بأنّ الخير فيما قدّره الله لا فيما يظنّون [18].

وقوله بالحق " أي إخراجاً ملتبسا به، فالباء للملابسة وقيل هي سببيّة أي بسبب الحقّ الذي وجب عليك وهو الجهاد [19].

قال تعالى: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ* وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دابر الكافرين* لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ* إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ* وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [20]

كان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – بالمرصاد للعير التي فاتته إلى الشّام حينما خرج إلى ذي العشيرة، وأرسل لها رجلين إلى الحوراء من أرض الشّام ليأتيا بخبرها، فلما مرّت بهما العير أسرعا إلى المدينة، فندب لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – النّاس إلى تلقّي أبي سفيان لأخذ ما معه من أموال قريش، وكان من معه قليلاً فلم يظن أكثر الأنصار أنّه يقع قتال فلم يجز معه منهم إلا القليل، ولم يأخذوا أهبة الاستعداد كما ينبغي، بخلاف المشركين فإنهم خرجوا مستعدين ذابّين عن أموالهم. [21]

وفي رواية أخرى، أنّ عير قريش أقبلت من الشّام فيها تجارة عظيمة معها أربعون راكباً، منهم أبو سفيان، وعمرو بن العاص، وعمرو بن هشام، فأخبر جبريل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبر المسلمين،فأعجبهم تلقّي العير لكثرة الخير وقلة القوم، فلما خرجوا بلغ أهل مكّة خبر خروجهم، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة، النجاء النجاء على كل صعب وذلول، عيركم أموالكم، إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا.

فقيل له: إنّ العير أخذت طريق السّاحل ونجت، فارجع بالناس إلى مكّة، فقال: لا والله، لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور، ونشرب الخمور، ونقيم القينات والمعازف ببدر، فيتسامع جميع العرب بمخرجنا، وإنّ محمّداً لم يصب العير، وإنا قد أعضضناه، فمضى بهم إلى بدر، ونستشعر من كلام أبي جهل أهمية المكان (بدر) كسوق من أسواق العرب، ومكان راحة القوافل. وهاتان الميزتان تجعلان من المكان مركز اعلام وهذا ما دعا اليه أبو جهل.

فنزل جبريل – عليه السّلام – فقال: يا محمّد، إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إمّا العير، وإمّا قريشاً، فاستشار النبيّ – صلى الله عليه وسلم – أصحابه، وقال: ما تقولون؟ إنّ القوم قد خرجوا من مكة على كلّ صعب وذلول، فالعير أحبّ إليكم أم النفير.

قالوا: بل العير أحبّ إلينا من لقاء العدو، فتغير وجه رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – ثم ردّ عليهم فقال: إنّ العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقالوا: يا رسول الله، عليك بالعير ودع العدوّ، فقام عند غضب النبي أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – فقال وأحسن، ثم قام عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو – رضي الله عنه – فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: **﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾** [22]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى بَرْكِ الغِمادِ [23] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال له رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – خيراً ودعا له به، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " أشيروا عليّ

أيّها الناس " وإنّما يريد الأنصار وذلك أنهم عدد الناس [24]، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنّا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا.

فكان رسول الله يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا من دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك؛ قال له سعد بن معاذ – رضي الله عنه –: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله،قال:" أجل " قال: فقد آمنا بك، وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صُدّق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسربنا على بركة الله، فسرّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – بقول سعد، ونشّطه ذلك، ثم قال: " **سيروا وابشروا** فإن الله – تعالى – قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظرُ إلى مصارع القوم (مكان)"[25]

ويخبر الرسول – صلّى الله عليه وسلم – إلى ان الله وعده الظفر بإحدى الطائفتين: العير أو النفير، فلما نجت العير، كانت البشرى بالظفر والنصر على النفير.

هنا تبرز قيمتان هامتان:

أولاهما: قيمة اختيار أرض المعركة (مكان) بعيداً عن مكان سكنى المجاهدين؛ وذلك لتجنيب سكان المدينة ويلات الحرب، وهذه حنكة عسكرية تكشف أهمية المكان في أي معركة.

الثانية: قيمة الشّورى: وبخاصة آراء القادة السّاسة، فلم يكتف رسولنا الكريم برأي المهاجرين، ولكنه أراد سماع رأي الأنصار أيضا وهم الأكثرية فلما علموا هذا وفهموه أعلنوا تأييدهم وجاهزيتهم للقتال، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:"سيروا وأبشروا" فكانت البشارة من أسباب الثبات والنصر. وفي قوله – صلى الله عليه وسلم –: فيه ما فيه من قيمة صدق النبوة، وإيمان الصحابة – رضوان الله عليهم – وقيمة استعدادهم للتضحية من أجلها.

وفيها أيضا: قيمة بث الحماسة في نفوس المجاهدين، وفي "مصارع القوم" (أمكنة)؛ قيمة حثّ المجاهدين وإقبال على القتال؛ لأنّ المجاهد مطمئن أنّ ملاقاته لفلان من المشركين الذين سماهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهم صناديدهم وفرسانهم وساداتهم في هذا المكان، فهو قاتله لا محالة.

وهنا تبرز حقيقة مفادها أنّ التوجه إلى الجهاد، كان بتوجيه القرآن والتزاماً بإعلاء مبادئ الحقّ والحرية وليس بتوجيه اهل بدر حيث يتبين كراهة بعضهم قتال قريش بعد نجاة العير التي خرجوا لأجلها ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ **يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ** ﴾ أي يجادلونك في أمر القتال.

وقال تعالى: ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾ [26]

كان المشركون قد سبقوا المسلمين إلى الماء ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء، فأنزل الله عزّوجل المطر، فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي، واتخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه الحياض على عدوة الوادي، وسقوا الركب، واغتسلوا، وتوضأوا، وتلبد الرّمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام،وسهل السير عليه. كل ذلك كان نعمة من الله على عباده المؤمنين وتأييداً لهم، أولا: عندما غشيهم النوم أي ألقى الله عليهم النوم في موقف الخوف والذعر حتى يثبت قلوبهم. ثانيا: عندما أنزل المطريوم عزّ الماء في بدر، وهذه رحمة أخرى. وثالثا: ثبت الله أقدامهم حتى لا تسوخ في الرمل وطبيعة أرض بدر(مكان) حتى يومنا هذا يشاهدها الزائر فهي رمال تغوص فيها الأرجل ولا يمشي فيها الماشي الا بجهد، ويخالها الانسان تتحرك وتهتز تحت اقدامه ولكن الله سبحانه وتعالى في هذا الموقف الرهيب ثبتها ليقوي المؤمنين على اعدائهم وينصرهم برحمته.

والمتأمل للآيات الكريمة يرى أنها وصفت المكان وصفا دقيقا.

تأمل قوله تعالى: ﴿ **إِذْ أَنتُمْ بِالْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [27]

مضت جموع قريش حتى نزلوا بالعدوة القُصْوَى من الوادي أي بالجانب الآخر الأبعد خلف العَقَنْقَل وبطن الوادي، وهو يَلْيَل، بين بدر والعَقَنْقَل[28] الكثيب الذي خلفه قريش، والقُلُبُ[29] ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة. والعدوة الدنيا أي جانب الوادي الأقرب إلى المدينة، وبين لفظ الدنيا والقصوى طباق. و"الدّنيا " تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب، و"القصوى": مؤنث الأقصى أي الأبعد.

وبعث الله السّماء وكان الوادي دَهْساً [30] فأصاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه منها ماءٌ لبَّد لهم الأرض [31]، ولم يمنعهم عن المسير، وأصاب قريشاً منها ماءٌ لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، فخرج رسول الله – صلى الله

عليه وسلم – يُبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به.

وذُكِر أنّ الحُبَاب بن المنذر بن الجَمُوح قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنْزَلَكَه الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخر عنه،أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: "**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**" قال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغوّر[32] ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون.

وكان الحُباب بن منذر عليماً بالمكان، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " لقد أشرت بالرأي " فنهض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغوّرت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه، فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

إنّ قول الحباب رضي الله عنه للرسول – صلى الله عليه وسلم – ونزوله عند رأي صاحبه فيما ليس بوحي يمثل قيمة تربوية " الرأي والرأي الآخر "، واختيار الأصلح والأفضل وأنّ على العالِم بجزئيات المكان أن يبرز أهميته ومبرراته، تلك الرؤية تشير الى أن الاختيار قطعة من العقل.

ثم إنّ سعد بن معاذ – رضي الله عنه – قال: يا نبيّ الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونُعِدُّ عندك ركائبك ثم نلقى عدوّنا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشَدَّ لك حبّا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم: يناصحونك، ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خيراً، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – عريش فكان فيه[33].

هنا يؤخذ بالتشاور والمذاكرة، والصحيح أنّ الشورى مشروعة ولكنها ليست بملزمة. وعلى الحاكم أو القائد أن يستنير بها في بحثه ورأيه. يقول القرطبي:" المستشير ينظر في اختلاف الآراء، وينظر أقربها إلى الكتاب والسّنة إن أمكنه، فإذا أرشده الله الى ما شاء منها عزم عليه وأنفذه متوكلا عليه".[34]

وقد ارتحلت قريشُ حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تَصَوَّبُ من العَقَنقل (وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي). قال: "اللهم هذه قريشٌ قد أقبلت بخُيَلائها[35]، وفخرها "تحادّك"[36]، وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني،اللهم "أحِنْهُمُ"[37] "الغداة".[38]

قلنا: إنّ العدوة: شطّ الوادي. والعدوة الدنيا: مما يلي المدينة، والقصوى: مما يلي مكّة.

"**والرّكب أسفل منكم**": يعني الرّكب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل، وأسفل: نصب على الظرف، معناه: مكاناً أسفل من مكانكم، "إلى ساحل البحر الأحمر على ثلاثة أميال من بدر"[39].

فإن قلت: "ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين (مكان) وأنّ العير كانت أسفل منهم؟ قلت: الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته، وتكامل عدته وتمهّد أسباب الغلبة له، وضعف شأن المسلمين و"التيات أمرهم"[40].

وهكذا فإنّ غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله سبحانه، ودليلا على أن ذلك أمراً لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته، ذلك أنّ العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضاً لا بأس بها، ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خَبَار[41] تسوخ فيها الأرجل، ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة، وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم، فكانت الحماية دونها، تضاعف حَميّتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نيّاتهم.

ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم؛ ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداتهم في القتال، وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه، فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم، ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يُخلوا مراكزهم، ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم.

والمشهد فيه تبيان وتصوير لما دبّر سبحانه وتعالى من أمر وقعة بدر؛ ليقضي أمراً كان مفعولاً من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبيّنة، حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج.

تلك الواقعة كانت بدعم الله وتأييده فقد جمع المسلمين وأهل مكة على غير ميعاد "ولكن" وهذا ما أكده الله تعالى وهو النصر المؤزر للإسلام وأهله.

و"شخص"[42] بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأموالهم، حتى نفروا ليمنعوا عيرهم، وسبّب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها، حتى قامت الحرب على ساق. [43]

قال تعالى: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ** ﴾ [44] تضمنت الآية الكريمة بشارة من الله عزّوجل بهزيمة جمع المشركين في يوم بدر وإنّهم يولون الأدبار منهزمين، وتلك البشارة من أعلام النبوة، فالآية

مكيّة، وقد نزلت قبل فرض الجهاد.[45]

وهذا مما أخبر الله به نبيه، فكانت الهزيمة يوم بدر كما بين الله تعالى ليس هذا عقابهم فحسب بل إنّ عقاب يوم القيامة أشد وانكى والإطناب في هذه الآية بتكرار اللفظ "الساعة" لزيادة الخوف والتهويل في الأمر.

وقال حسان بن ثابت في غزوة بدر: [46]

سَمَوْنا يوم بدْر بالعوالي
سِراعاً ما تُضَعْضِعُنا الحُتُوفُ
فلم تر عُصبة في الناس أنكى
لمن عادوا إذا لَقِحت كشوفُ
ولكنّا توكلنا وقتْلنا
مآثرنا ومَعْقِلُنا السيوفُ

وقال أبو بكر بن الأسود يرثي قتلى بدر:[47]

فماذا بالقليب قليب بدر
من القينات والشّرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر
من الشيزى تُكلل بالسنام
يخبرنا الرسولُ لسوف نحيا
وكيف لقاءُ أصداءٍ وَهَام؟

ومهما يكن من الأمر، فإن غزوة بدر وما رافقها من علامات تتجلى فيها هُوية الإنسان وغروره وأهمية المكان ودوره في صنع النصر، وموقف الإنسان من المكان الذي يعتبر بُعدا فاعلاً في المعركة، كما يمثل ذاكرة تاريخية ضاربة بجذورها في عمق التاريخ الإسلاميّ، فللمكان هموم وقضايا وتفصيلات لا يمكن أن تزول.

لعلنا نستعرض ما قيل في هذه الغزوة لنرسم رؤية شاملة حول هذه الغزوة المفصلية فقد كان النصر في بدر خارقا لكل العادات والأعراف.

يقول سيد قطب في ظلال القرآن: "ألا إنّ غزوة بدر بملابساتها لتمضى مثلا في التاريخ البشريّ، ألا إنّها لتقرر دستور النصر والهزيمة، وإنّها لكتاب مفتوح تقرؤه الأجيال، في كلّ زمان ومكان، لا تتبدل دلالاتها ولا تتغير طبيعتها وتكشف الأبعاد الكبيرة بين ما يريده الناس لأنفسهم وما يريده الله لهم"[48].

ولقد سمّى القرآن الكريم يوم بدر يوم البطشة الكبرى، قال تعالى في سورة الدخان: " **يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون** " [49]

وذهب بعض المفسرين إلى أنه يوم بدر، وقيل يوم القيامة؛ من بطش به يَبْطِشُ ويبطُشُ: إذْ أخذه بعنف وقوة [50].

تلك غزوة بدر الوقعة المباركة التي استقر بها الأمر للمسلمين من بعد في بلاد العرب جميعا، التي كانت مقدمة وحدة شبه الجزيرة تحت مظلة الإسلام.

نافلة القول إنّ موقعة بدر من الآيات المعجزة الدالة على عظمة نصر الله لأوليائه. فقد انتصر فيها المسلمون وهم قلة على مشركي قريش وهم كثرة.

وهذه معجزة بحد ذاتها تؤكد قاعدة ربانية وسنة جارية ﴿ **إنّ مع العسر يسرا** ﴾، وهذا يدل على أن اليسر حاضر باستمرار، وانّ العسر والشدّة والمشكلات ستزول وتنحلّ، وما دام هناك عسر فثّمة يسر سيأتي، وطول الزمان لا يعني الجمود بل يعطي تجددا، ولكن عليك أن تبقى مطمئنا بوعد الله.

أُحُد: جبل معروف بينه وبين المدينة أقل من فرسخ، وهو الذي قال فيه – صلى الله عليه وسلم – " جبل يحبنا ونحبه"[51].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذلك لما رآه في حال رجوعه من الحج، ووقع في رواية أبي حميد أنه قال لهم ذلك لما رجع من تبوك وأشرف على المدينة، قال: هذه طابة، فلما رأى أحداً، قال: هذا جبل يحبّنا ونحبه، فكأنّه – صلى الله عليه وسلم – تكرر منه ذلك القول.

قال السهيلي: سمي أحداً لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك، أو لما وقع من أهله من نصر التوحيد.

وللعلماء في معنى ذلك أقوال:

أحدهما: أنه على حذف مضاف، والتقدير أهل أحد، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه.

الثاني: أنّه قال ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقياهم، وذلك فعل من يُحبّ بمن يُحبّ.

الثالث: أنّ الحبّ من الجانبين على حقيقته وظاهره يكون "أحد" من جبال الجنّة.

وقد خاطبه – صلّى الله عليه وسلّم – مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب: " اسكن أحد "، وقال: السهيلي: كان – صلى الله عليه وسلم – يحب الفأل الحسن والاسم الحسن، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحدية. قال: ومع كونه مشتقاً من الأحدية فحركات الحروف الرفع، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه، فتعلق الحبّ من النبي – صلى الله عليه وسلم – به لفظاً ومعنى فخصّ من بين الجبال بذلك [52].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه أنه قال: خير الجبال، أحد، والأشعر، وورقان. [53]

معركة أحد واقعة تاريخية وردت في كثير من كتب السير والمغازي والتاريخ.

مكان الغزوة: أرسل العباس عم الرسول – صلى الله عليه وسلم – كتابا مع رجل غفاريّ يصف فيه صنيعهم وجمعهم

عدتهم وعديدهم. فقد أمضت قريش نحو عام في الاستعداد للانتقام لما أصابها من هزيمة في وقعة بدر. وإن قريشا كانت تخوض حربا دفاعا عن زعامتها ومكانتها وهيبتها بين القبائل. سارت قريش من مكة المكرمة إلى الأبواء وتابعت مسيرها حتى بلغت العقيق، ثم نزلت عند السفوح من جبل أحد على خمسة أميال من المدينة في ميدان فسيح على شفير وادي قناة قريبا من جبل عينين وأحُد. أي صفّ المشركون بالسبخة [54]، وتعبّوا للقتال وعلى خيل المشركين وهي مئة فرس خالد بن الوليد وليس مع المسلمين فرس، وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان.

أحـــد

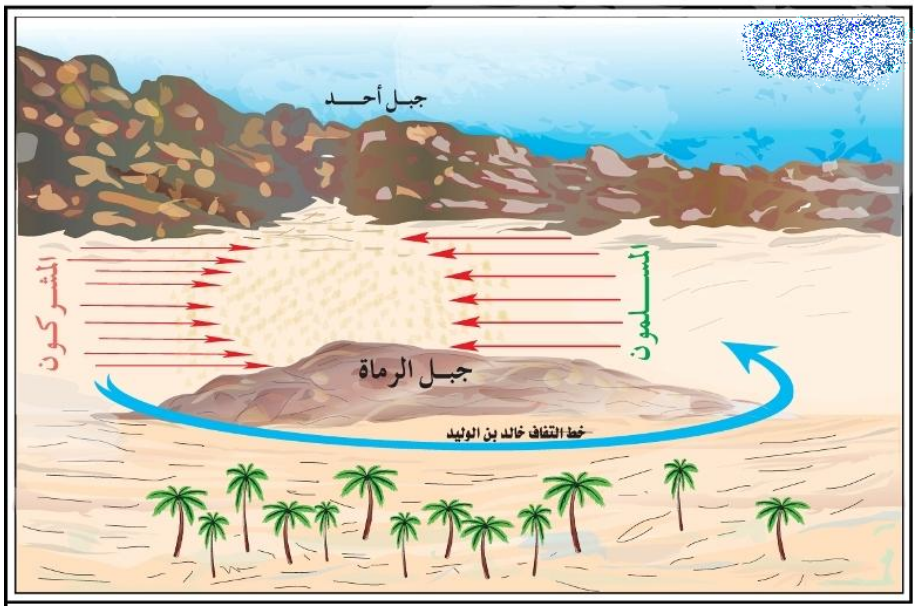

خريطة ميدان أحد

المصدر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – عمادة البحث العلمي

فلما وصل كتاب العباس رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – بعث ابني فضالة أنَساً ومؤنسا يتنطسان خبر قريش، فألفياها قاربت المدينة وأطلقت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، وبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من بعدهما الحُباب بن المنذر بن الجموح، فلما جاء من خبرهم بالذي أخبره العباس أخذته عليه السلام الحيرة، وخرج سلمه بن سلامة؛ فإذا طليعة خيل قريش تقارب المدينة وتكاد تدخلها، فعاد وخبّر قومه بما رأى، فبات وجوه المسلمين من أهل المدينة وعليهم السلاح بالمسجد خوفاً على النبي – صلى الله عليه وسلم – وحُرست المدينة كلّها طيلة الليل. فلما أصبحوا جمع النبي أهل الرأي من المسلمين ومن المنافقين.

وكان رأي النبي – عليه السّلام – أن يتحصنوا بالمدينة، وأنْ يدعوا قريشاً خارجها، فإذا حاولوا اقتحامها كانوا أهلها، فكانوا أقدر على دفعهم والتغلب عليهم، ورأى عبد الله بن أبي بن سلول رأي النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال: " لقد كنا يا رسول الله نقاتل فيها، ونجعل النساء، والأطفال في هذه الصياصي ونجعل معهم الحجارة، ونَشْبك المدينة بالبنيان، فتكون كالحصن من كل ناحية،فإذا أقبل العدو رمته النسوة والأطفال بالحجارة وقابلناه بأسيافنا في السكك، إنّ مدينتنا يا رسول الله عذراء ما فُضّت علينا قطّ، وما دخل علينا عدّو فيها إلا أصبناه، وما خرجنا إلى عدوّ قط منها إلا أصاب منا،فدعهم يا رسول الله وأطعني في هذا الأمر، فإني ورثت هذا الرأي عن أكابر قومي وأهل الرأي منهم" [55].

وكان كلام ابن أبيّ هذا هو رأي الأكابر من أصحاب الرسول من المهاجرين ومن الأنصار، كما كان رأي الرسول عليه السّلام.

لكن فتياناً ذوي حميّة لم يشهدوا بدراً، ورجالاً شهدوها وأمتّعهم الله بالنصر فيها وملأ الإيمان قلوبهم أن ليس القوة أن تغالبهم أو تتغالب عليهم، أحبوا الخروج إلى العدو وملاقاته حيث نزل، مخافة أن يظنّ أنهم كرهوا الخروج وتحصنوا بالمدينة جُنباً عن لقائه.

ثم إنهم إلى جانب المدينة وعلى مقربة منها أقوى منهم يوم

كانوا ببدر لا يعرف أهلوهم من أمرهم شيئا.قال قائل منهم: "إنّي لا أحبّ أن ترجع قريش إلى قومها فيقولون حصرنا محمداً في صياصي يثرب وآطامها فتكون هذه مجرِّئة لقريش، وهاهم هؤلاء قد وطئوا سَعَفَنَا فإذا لم نَذُبّ عن عِرْضِنا [56] لم يزرعْ ، وإنّ قريشاً قد مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب من بواديها، ومن تَبعها من أحابيشها وعبيدها ورجالها من بني كنانة وأهل تهامة حتى نزلوا بأحد [57]. ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا؛ أفيحبسوننا في بيوتنا وصياصينا، ثم يرجعون وافرين لم يُكلموا! لئن فعلنا لازدادوا جرأة، ولشنوا الغارات علينا وأصابوا من أطرافنا ووضعوا العيون والأرصاد على مدينتنا، ثم لقطعوا الطريق علينا [58].

وتعاقب الدعاة إلى الخروج يتحدث كلّ حديثه، ويذكرون جميعا أنهم إذا أظفرهم الله بعدوهم فذلك الذي أرادوا، وذلك الذي وعد الله ورسوله بالحق، وإنْ هم انهزموا واستشهدوا كانت لهم الجنّة.

تلك الآراء كانت تتداول بين القوم تؤججهم حميّة الدفاع فأحبوا الخروج لملاقاة العدو وليس التحصن في المدينة.

فلما ظهرت الكثرة واضحة في جانب الذين يقولون بالخروج إلى العدوّ وملاقاته قال لهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: "إني أخاف عليكم الهزيمة"، فأبوا مع ذلك إلا الخروج. فلم يكن له إلا أن ينزل على رأيهم. وقد كانت الشورى أساس نظامه لهذه الحياة، فلم يكن ينفرد بأمر إلا ما أوحي إليه من عند الله[59]. وبعد مشاورة خرج الرسول للقاء أعدائه في ألف من المسلمين.

قال تعالى لنبيه – صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾[60]، أي سميع لما يقولون، عليم بما يخفون، والطائفتان هما بنو سلمه من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وهما الجناحان **(وعلى الله فليتوكل المؤمنون)** أي من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل علي، وليستعن بي أعنه على أمره أدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته [61].

ودخل – صلّى الله عليه وسلّم – بعد صلاة العصر بيته ومعه أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما، فعمّماه وألبساه درعه وتقلد سيفه، والناس في أثناء غيبته هذه في جدل يتحاورون. قال أسيد بن حُضَير وسعد بن معاذ – رضي الله عنهما – وكانا ممن أشاروا بالتحصن بالمدينة؛ للذين رأوا الخروج منها:" لقد رأيتم رسول الله يرى التحصن بالمدينة؛ فقلتم ما قلتم واستكرهتموه على الخروج وهو له كاره، فردّوا الأمر إليه، فما أمركم فافعلوه، وما رأيتم له فيه هوىً أو رأياً فأطيعوه ".

ولأنّ الداعين للخروج لما سمعوا، وحسبوا أنهم خالفوا الرسول – صلى الله وعليه وسلم – إلى شيء قد يكون لله فيه آية. فلما خرج النبي إليهم لابساً درعه متقلداً سيفه أقبل عليه الذين كانوا يرون الخروج فقالوا: " ما كان لنا يا رسول الله أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك، وما كان لنا أنْ نستكرهك والأمر إلى الله ثم إليك "، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " **قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، وما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه أنظروا ما أمركم به فاتبعوه، والنصر لكم ما صبرتم** ". [62]

وتقدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالمسلمين متجها إلى أُحد حتى نزل "الشيخين" [63] **(مكان)**، فلما أصبحوا انخذل ابن أُبي بن سلول مع كتيبة من أصحابه في ثلاثمئة، وبقي النبي ومعه المؤمنون حقا وعدتهم سبعمئة مقاتل ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشي من أهل مكّة، فلما رجع سقط في أيدي طائفتين من المؤمنين وهمّتا بالرجوع وفيهما نزلت الآية الكريمة:﴿ **إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾.

تنظيم النبي – صلّى الله عليه وسلّم – الصفوف

وسار المسلمون مع الصبح حتى بلغوا أحداً من طريق قصير يترك العدو في جانب الغرب، فاجتازوا مسالكه حتى نزل بالشعب من أحد عند منفذ الوادي وجعلوه إلى ظهورهم، وقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –: " لا يقاتلن أحد حتى نأمره "، وبذلك صار العدوّ حائلا بين المسلمين والمدينة، وجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصفّ أصحابه، وقد وضع منهم خمسين من الرماة على شِعب من الجبل، جبل عينين – وهو الذي يعرف بجبل الرماة وهو جبل ببطن السّبْخة **(مكان)** – بقيادة عبد لله بن جبير الأنصاري، وقال لهم: " احموا ظهورنا فإنّا نخافُ أن يجيئونا من ورائنا، وألزموا **مكانكم** لا تبرحوا منه، وإنْ رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا **مكانكم**، وإنْ رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنّا، إنْ رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا **مكانكم** هذا وإنْ رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا **مكانكم**[64]"، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنّبل " **انضح الخيل عنا بالنّبل**"[65]، فإن الخيل لا تقدم على النبل. أي ارمها بالنبل لتبعد عنّا.

ومما يجدر التأمل فيه،أنّ توصيات الرسول – صلّى الله عليه وسلم – الدقيقة لأصحابه عامة، وللرماة خاصة تكشف أنّ النبي عليه الصلاة والسّلام قد استشف بفراسة النبوة أو بوحي الله، ما قد حدث فيما بعد. فقد أعطى المكان الأهمية القصوى في تكراره " والزموا مكانكم"، "فلا تفارقوا مكانكم"، "فلا تبرحوا مكانكم"، كلّ تلك التوصيات كانت واضحة وجلية للرماة. كما

أن المكان هنا مثل ذاكرة تاريخية ورؤية سياسية وعسكرية يجعله دائما في دائرة الحكم والسياسة.

ثم نهى غير الرماة أن يقاتل أحدا حتى يأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالقتال. وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير فبارز طلحة بن عثمان فقتله وحمل المسلمون على المشركين حتى "أجهضوهم"[66] عن أثقالهم.

كانت بداية المعركة تفوقا للمسلمين وهزيمة لقريش ومن والاها، والحق أن ظفر المسلمين في صبيحة يوم أحد كان معجزة من معجزات الحرب، وقد يفسرها بعضهم بمهارة محمد – صلى الله عليه وسلم – القائد العسكري الفذّ في توزيعه الرماة في شِعب الجبل (مكان) يصدون الفرسان بالنَّبل، فأكبّ الرماة في العسكر ينهبون، فرأى ذلك الرماة الآخرين فتركوا مواقعهم، ظنّا منهم أنّ المعركة انتهت أو طمعا في الغنيمة، فنظر خالد بن الوليد متأملا، فوجد الجبل المحصّن قد خلا من حماته، فلمعت الفكرة العسكرية في رأسه، وإذ ذاك اهتبل الفرصة فحمل على المسلمين من خلف الجبل، وشدّ برجاله على مكان الرماة فأجلاهم، واعتلى قمة الجبل، وحقيق أن دور خالد بن الوليد كان حاسما ومتغيرا رئيسا في مجرى المعركة حيث انقلب النصر إلى هزيمة بتغيير المواقع (مكان).

وصرخ صارخ: قُتل محّمد، فعطف المسلمون بقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون،فقد غزا الرعب أفئدتهم وانهزمت طائفة منهم جهة المدينة وتفرق سائرهم، ووقع فيهم القتل والاضطراب والفُرقة.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [67].

(فتصعدون): من الإصعاد وهو الذهاب في صعيد الأرض والإبعاد فيها، يقال أصعد في الأرض إذا أبعد في الذهاب وأمعن، وقال القرطبي: الإصعاد: السير في الأرض في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب[68]. والآية الكريمة ترسم صورة حركية حسية ونفسيّة رائعة في ألفاظ قلائل فهم مصعدون في الجبل هرباً من عدوّهم، في اضطراب ورعب وهلع، لا يلتفت أحدٌ منهم إلى أحد، ولا يجيب منهم داعي أحد من شدة الفزع.

وقيل: كان الغمّ الأول الذي دخل الى قلوبهم: حين سمعوا الصوت أنّ محمداً قد قتل، والثاني: لما انحازوا إلى النبي – صلّى الله عليه وسلم – وصعدوا في الجبل (مكان) فتذكروا قتل من قُتل منهم فاعتموا، **(فأثابكم غما بغم)** أي كربا بعد كرب أو حزنا متصلا بحزن، بقتل من قتل من إخوانكم وعلو عدوكم عليكم.

فصّل – سبحانه وتعالى– ما حدث في المعركة تفصيلا دقيقا، فبين ما كان من بعض المسلمين بعد أن اضطربت أحوالهم.

وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه منهزمين، فالأمل بالله لا ينقطع، وبقاء الأمل مع بقاء الحيوية، ويأس الأعداء هو المطلوب. فجعل الرسول – صلى الله عليه وسلم– يدعو الناس "**إليّ عباد الله، إليّ عباد الله**"[69] وتلك محاولة لإعادة تنظيم صفوف المسلمين. وكان يوم بلاء وتمحيص، حتّى فاء إليه بعضهم والتفوا من حوله وهو عند " المهراس"[70] في الشّعب (مكان).

يقال إنّ البلاء للمؤمن رجاء وامتحان، وللظالم أدب، وللنبي درجة.

وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حين وصف المسلم بالنخلة الخضراء لا تتجرد من أوراقها، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنّها مثل المسلم فحدّثوني، ماهي؟ فوقع الناس في شجر البوادي ثم قالوا حدثنا، ما هي؟ يا رسول الله! قال: "**هي النخلة**"[71]

وتوجه النبي – صلّى الله عليه وسلم– يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدمُوه وكسروا رباعيته وشجّ في رأسه، ويقول: " **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله**"[72]. فأنزل الله عزّوجل في ذلك: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[73].

فمرّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلم– مصعداً في الشعب ومعه طلحة والزبير، وقيل معه طائفة من الأنصار منهم سهل بن بيضاء، والحارث بن الصّمة، وشُغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم، وهم يظنون أنهم أصابوا النبي – صلى الله عليه وسلم – وأشراف أصحابه فقال أبو سفيان يفتخر بآلهته: أعْلِ هُبل، فناداه عمر: الله أعلى وأجلّ، ورجع المشركون إلى أثقالهم.

فقال النبي – صلّى الله عليه وسلّم – لأصحابه: إن ركب المشركون وجعلوا الأثقال تتبع آثار الخيل فهم يريدون البيوت، وإنْ ركبوا الأثقال وتجنبوا الخيل أي قادوها إلى جنوبهم فهم يريدون الرجوع فتبعهم سعد بن أبي وقاص، ثم رجع فقال: رأيت الخيل مجنوبة أي وجهوا إلى مكّة [74]، فطابت أنفس المسلمين ورجعوا إلى قتلاهم فدفنوهم في ثيابهم ولم يغسلوهم ولم يصلوا عليهم، وبكى المسلمون على قتلاهم فسر المنافقون، وظهر غش اليهود، "وفارت المدينة بالنفاق، فقالت اليهود: لو كان نبياً ما ظهروا عليه، وقالت المنافقون: لو أطاعونا ما أصابهم هذا"[75].

كان مما نزل في القرآن في يوم أحد ستون آية من آل عمران، تناولت أحداث غزوة أحد، في مقدمتها آيات المواساة، قال تعالى – جلّ ثناؤه–: ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** ﴾ [76].

أخرج الطبري من طريق مجاهد في قوله: – ولا تهنوا – أي: لاتضعفوا عن الجهاد بسبب ما جرى، ومن طريق الزهري قال: كثُر في أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – القتل والجراح، حتى خلص إلى كل امرئ منهم نصيب فاشتد حزنهم فعزّاهم الله أحسن تعزية بقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾، أي العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون، فأنتم الغالبون.

وفي توضيح ما حدث أنهم لما تفرقوا ثم رجعوا إلى الشِّعب، نعى بعضهم بعضاً ، وتحدثوا بينهم أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قُتل فكانوا في هم وحزن، فبينما هم كذلك إذْ علا خالد بن الوليد بخيل المشركين فوقهم، فثاب نفرٌ من المسلمين رماة، فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله، وعلا المسلمون الجبل والتقوا النبي – صلّى الله عليه وسلم –.

تلك سُنة الله تعالى وحكمته أن تكون الانتصارات والهزائم متداولة بين الناس. أي الأيام دول يوم تُساء ويوم تُسر. وعن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت للنبي – صلى الله عليه وسلم –: "**هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومكِ ما لقيت، وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة**"[77].

ولا يسمى ما وقع في أحد هزيمة فقد سماها القرآن الكريم قرحاً أي جرحا، وسماها إصابة، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ** ﴾ [78] وذلك تعزية ومواساة للمؤمنين حيث ذكرهم بنصرهم يوم بدر.

وقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [79]. وعدّها القرآن الكريم مصيبة حلّت بالمسلمين، وردّ عليهم حين قالوا " أنى هذا "، أي من أين لنا هذا الخذلان، "قل هو من عند أنفسكم "، أي الذي نالكم هو من شؤم مخالفتكم أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – [80].

وقد أشاد الله تعالى بآياته الكريمة بالقيادة الحكيمة، والقلب الرحيم والخلق القويم لرسولنا محمد – صلّى الله عليه وسلم – على الرغم من مخالفة بعض الصحابة لأوامره، ولم يتعامل معاهم بالغلظة، بل خاطبهم باللطف والرأفة والنصح وتجاوز عن أخطائهم وأذاهم.

قال الله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾ [81]

غزوة حُنين كانت في شوال سنة ثمان من هجرة النبي – صلّى الله عليه وسلم – دارت رحاها في وادي حُنين.

حُنين وادٍ إلى جنب ذي المجاز؛ قريب من الطائف، بينه وبين مكّة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات، قال أبو عبيد البكري: سُمي باسم حنين بن نائبة بن مهلاييل [82]

و حُنين: وادٍ يقع قبل الطائف يراه الذاهب من مكّة إلى الطائف من طريق السيل بالقرب من الشرائع المعروفة اليوم [83]، وقيل وادٍ بجنب ذي مجاز، وقال الواقدي: بينه وبين مكّة ثلاث ليالٍ، وهو يذكّر ويؤنّث؛ فإن قصدت به البلد ذكرته وصرفته كقوله تعالى: " **ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم** "؛ وإن قصدت به البلدة والبقعة أنّثته ولم تصرفه كقول الشاعر [84]

نصروا نبيّهم وشدوا أزره

بحنين، يوم تواكل الأبطال

منّ الله على المسلمين بفتح مكّة ودانت لهم قريش بعد بغيها وعدوانها ودخل الناس في دين الله أفواجا، وشرع المسلمون يلتفون حول رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – في صلاته كلما نادى لها بلال في غدوه ورواحه.

وكان المهاجرون مسرورين بعودتهم إلى بيوتهم وأقاربهم، وبعد خمسة عشر يوماً تنامى إلى أسماع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنّ هوازن التي كانت تقيم على مقربة من مكة إلى جنوبها الشّرقيّ في جبال هناك لما علمت بما تم للمسلمين من فتح مكة ومن تحطيم أصنامها خشيت أن تدور عليها الدائرة وأنْ يقتحم المسلمون عليها منازلها، فاجتمع أشراف قيس عيلان للشورى، وفي مقدمتها هوازن وثقيف.[85] كما اجتمعت نضْر وجُشَم، ولم يتخلف عن الاجتماع من هوازن إلا كعب وكلاب.

فقالوا: قد فرغ محمّد من قتال قومه، ولا ناهية له عنّا، فلنغزوه قبل أن يغزونا، فأجمعوا أمرهم للحرب، واختاروا لقيادتها مالك بن عوف النَّصْري، فتحشد جمع كبير، وكان في جُشَم دريد بن الصّمّة وكان يومئذٍ شيخاً كبيراً لا نفع منه في الحرب، ولكن كان الانتفاع برأيه بعد الذي عركه على السنين في وقائِعها.

اجتمعت هذه القبائل كلّها ومعها أموالها ونساؤها وأبناؤها، وتم جمعها حين نزلت سهل "أوطاس" [86] (مكان)، فلما سمع

دُريد رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، وثغاء الشاء، سأل مالك بن عوف سيّد هوازن لِمَ ساق مع المحاربين أموالهم ونساءهم وصغارهم؟ فلما أجابه مالك بأنّه إنّما أراد أن يشجع بها المحاربين. قال دريد: وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إنْ كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحْت في أهلك ومالك، واختلف هو ومالك، وتبع الناس مالكاً، وكان شابا في الثلاثين من عمره، قويّ الإرادة ماضي العزيمة. [87]

حُنين والطائف

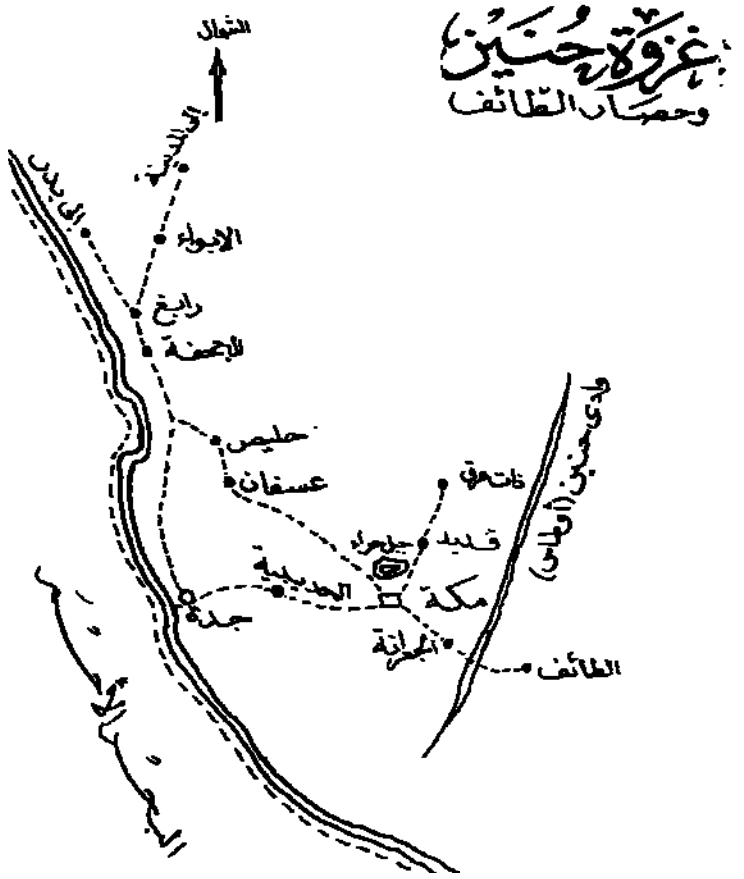

المصدر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – عمادة البحث العلمي

تحصّنُ القبائل بمضيق الوادي

وأمر مالك الناس أن ينحازوا إلى قمم حنين وعند مضيق الوادي (مكان)؛ فإذا نزل المسلمون واديه، فليشدّوا عليهم شدّة رجل واحد تُضعضع صفوفهم فيختلط حابلهم بنابلهم، ويضرب بعضهم بعضاً، وتدور عليهم الهزيمة، وامتثلت القبائل أمر مالك وتحصنت بمضيق وادي حنين [88].

الآيات التي نزلت فيها " حنين " ليست كثيرة بل هي ثلاث آيات من سورة التوبة وتسمى سورة براءة، لكنها شاملة ووافية لما دار في رحابها، وغزوة حنين وما رافقها من أحداث ومواقف وتداعيات أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[89].

لقد نصركم الله على أعداءكم في مواقع كثيرة، والمواطن الكثيرة: وقعات بدر، وقريظة، والنضير، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة. فإن قلت: كيف عطف الزمان والمكان وهو " يوم حنين " على المواطن؟ قلت: معناه وموطن يوم حنين، أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين [90] " ويوم حنين" أي نصركم يوم غزوة حنين، وتسمى غزوة هوازن وثقيف.

أمّا المسلمون فبادروا بعد أسبوعين من مقامهم بمكّة وعلى رأسهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في عُدّة وعديد لم

يكن لهم من قبل بها عهد قطّ، ساروا في اثني عشر ألفاً من المقاتلين ساروا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى حنين فأطنبوا السير [91]، فجاء عبد لله بن أبي حدرد الأسلميّ فقال: إنّي انطلقت من بين أيديكم حتىّ طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم قد اجتمعوا، فتبسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال: " **تلك غنيمة المسلمين غداً – إنّ شاء الله تعالى**–".

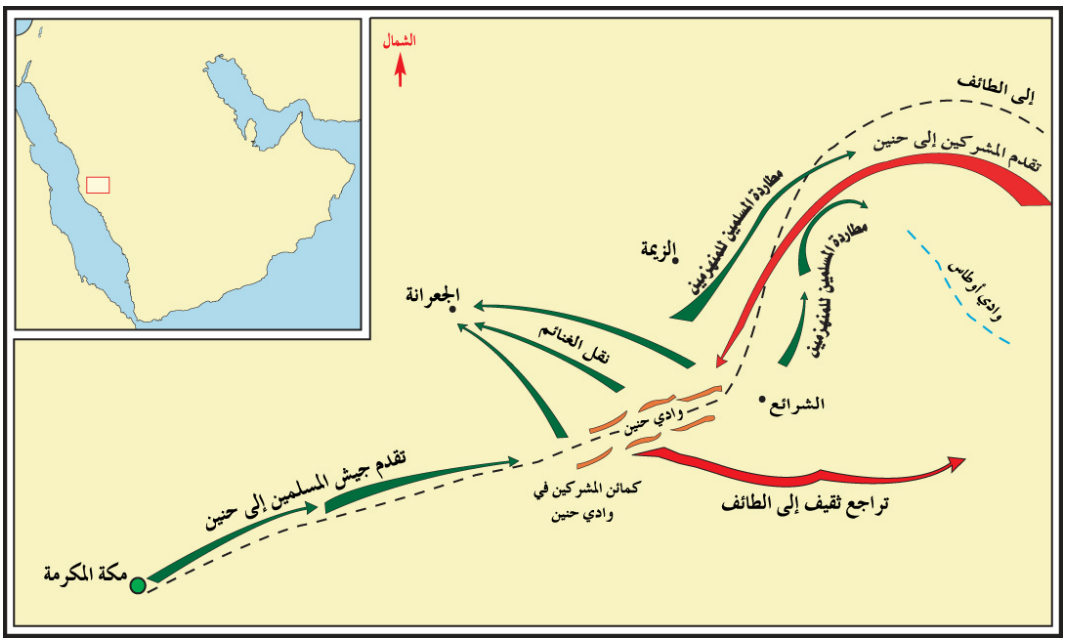

مسيرة المسلمين إلى حنين – وفرار المسلمين

فقال رجل: " لن نُغلب اليوم من قلّة"، غرورٌ منع النصر في بداية المعركة، فشق ذلك على النبي – صلى الله عليه وسلم – وبلغوا حنيناً والمساء يقبل، فنزلوا على أبواب واديها، وأقاموا بها حتى بكرة الفجر، هنالك تحرك الجيش، وركب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بغلته البيضاء في مؤخرته، على حين سار خالد بن الوليد على رأس بني سُليم في المقدّمة، وانحدروا من مضيق حنين في واد من أودية تهامة.

وإنهم كذلك منحطون إلى الوادي إذ شدّت عليهم القبائل بإمرة مالك بن عوف شدّة رجل واحد، وأصلوهم وابلاً من النّبال وهم جميعاً ما يزالون في عماية الفجر.

الملمح الرئيس أن اختيار مالك بن عوف لأعالي الجبال وتركه الوادي (مكان مكشوف للمتحصنين في الجبال) مع الأخذ بالاعتبار أن الوادي مكان ضيق بالنسبة لرحابة المكان في الجبال، كان سببا رئيسا سهّل على المشركين كسب الجولة الأولى.

كما انّ ثبات الرسول – صلى الله عليه وسلم – في مكانه، كان سببا في عودة المسلمين الفارين الى أرض مناجزة العدوّ (مكان).

إذْ ذاك اختلط أمر المسلمين واضطرب، وانشمر الناس راجعين قد أخذ الخوف والفزع منهم كل مأخذ، حتى أطلق بعضهم ساقية للريح، والجيش يختلط حابله بنابله والنبيّ في المؤخرة تمر عليه القبائل واحدة بعد الأخرى مهزومة لا تلوي على شيء.

وثبت رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم – مكانه، ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ والسكينة: أي الثبات بعد التحرك وهو زوال الفزع والرعب. وأحاط به جماعة من المهاجرين والأنصار ومعه من أهل بيته، وجعل ينادي في الناس إذ يمرون به منهزمين: أين أيّها الناس؟ أين؟ لكن النّاس كانوا فيما هم فيه من هول الفزع لا يسمعون إلى شيء ولا يدور بتصورهم إلا هوازن وثقيف منحدرتين من مُعْتصمهما بالقمم تطاردانهم حتى تأتيا عليهم، ولم يخطئ تصورهم، فقد انحدرت هوازن وثقيف وأنصارهما يطعنون، وثارت بالنبي – صلى الله عليه وسلم – حميته، فطفق يَرْكضُ بَغْلَتهُ قبل الكفار، والعباس آخذ بلجامها يكفّها: يمنعها من اقتحام ساحة الحرب، إرادة ألا تُسرع وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحالا دون تقدمها [92].

نداء العباس في النّاس:

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " **أي عبّاسُ نادِ أصحاب السَّمُرة** "، وهي بيعة الشجرة، وكانت عند سمرة: نوع من الشجر. وكان العباس بن عبد المطلب رجلاً حسيماً جهوري الصوت قويه، صيّتاً [93] فنادى بما أسمع الناس جميعاً من كلّ فجّ عميق: يا معشر الذين آووا ونصروا، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة [94] إنّ محمداً حيّ فهلُمُّوا. وكرر العباس النداء حتى تجاوبت في كل جنبات الوادي أصداؤه.

وهنا كانت المعجزة سمع أصحاب العقبة اسم العقبة فذكروا محمّداً – صلى الله عليه وسلم – وذكروا عهودهم وشرفهم والتزامهم فسكنت قلوبهم بعد الفزع بالطمأنينة والأمن، وسمع المهاجرون اسم محمّد – صلى الله عليه وسلم – فذكروا تضحياتهم وذكروا شرفهم، وسمع هؤلاء وأولئك بسكينة محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – وثباته في نفر قليل من المهاجرين والأنصار، وكان نداء العباس في أثناء ذلك ما يزال يدوّي في آذانهم وتهتزّ لأصدائه أوتار قلوبهم، أين اصحاب السّمرة؟ هنالك تصايحوا من كلّ صوب: "يا لبيك، يا لبيك"، وأرتدُّوا إلى المعركة مُستبسلين.

أما الذين ثبتوا في غزوة حُنين فكانوا من أهل السّمُرة الذين قال فيهم النبيّ – صلى الله عليه وسلم –: " **أنتم خيرُ أهل الأرض** ".

"عن أم مبشّر أنها سمعت النبي – صلّى الله عليه وسلّم – يقول عند حفصة: " **لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها** " [95]

وبدأت الطمأنينة تعاود رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – حين رآهم يعودون، فقد انحدرت هوازن من مكامنها، وأصبحت وجهاً لوجه مع المسلمين في الوادي. وقد أضاء النهار وطغى النور على عماية الفجر، واجتمع حول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بضع مئات، استقبلوا القبائل وصبروا لهم، وقد أخذ يزداد عددهم، ورسول الله ينظر إلى تناحر القوم، حتى إذا رأى الصِّدام اشتدّ ورأى رجاله تسمو نفوسهم إلى الجنّة والثواب، ويطيحون بخصومهم، نادى: "**الآن حمي الوطيس، إنّ الله لا يخلف رسوله وعده**"، ثمّ طلب الى العباس فناوله حفنة من الحصيات ألقى بها في وجوه الكفار قائلاً: " **شاهت الوجوه** " فما بقي أحد إلا ويمسح القذى عن عينيه "[96]،وامتلأت عيونهم ترابا بتلك القبضة المباركة فشلتهم عن الحركة فولوا مدبرين، فكانت هذه الرمية آية إعجازية من آيات الله ومقدمة لنصر مؤزر، واندفع المسلمون إلى المعركة مستهينين بالموت في سبيل الله، مؤمنين بأن النصر لا محالة آتٍ. وكان البلاء شديداً، واشتدّت الحرب حتى إنّ هوازن وثقيفاً ومن معهم ما لبثوا حين رأوا كل مقاومة غير مجدية، أن فروا منهزمين لا يلوون على شيء، تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين، أما الأسارى وعددهم ستة آلاف فقد نقلوا محروسين إلى وادي الجِعْرانة [97] وحبست الغنائم كلها فيه حيث آووا إلى أن يعود المسلمون من مطاردة عدوهم، ومن حصار ثقيف بالطائف [98].

وتابع المسلمون مطاردتهم لعدوهم، وزادهم إغراء بهذه المطاردة أن أعلن الرسول – صلى الله عليه وسلم – " **من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبُه** "[99]، وتبع المسلمون هوازن حتى بلغوا أوطاساً (مكان)، وهناك في أوطاس أوقعوا بهم وهزموهم شرّ هزيمة، وسبَوا من احتملوا من النساء والأموال وعادوا بهم إلى رسول الله محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – أما مالك بن عوف النصري فقد ثبت هُنيهة ثم فرّ وقومه مع هوازن حتى افترق عنهم، ثم ولى وجهه نحو الطائف فاحتمى بها.

وكذلك كان نصر المؤمنين في حنين مؤزراً، وكانت هزيمةُ المشركين تامّة بعد ذلك الفزع الذي أصاب المسلمين، وحين شدّ المشركون عليهم شدّه رجل واحد ضعضعت صفوفهم وخلطت حابلهم بنابلهم.

وفي ذلك ذكّرالله المؤمنين بنصرهم في حروب كثيرة بقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**﴾.

"ويوم حنين" من باب عطف الخاص الى العام للتنويه بعظمة النصر بعد اليأس والقنوط.

وأراد رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – نصراً أكثر روعة وأعظم جلالاً، وإذا كان مالك بن عوف هو الذي قاد هذه الجموع، ثم احتمى بعد هزيمتها بالطائف، فليحاصر المؤمنون الطائف، وليضيقوا عليها الحصار، وتلك كانت خطة محمّد – صلى الله عليه وسلم – التي تجلّت بها مهارة القيادة الإدارية الفذّة .

عندئذٍ، أمر رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أصحابه أن يسيروا إلى الطائف (مكان) ليحاصروا بها ثقيفاً، وعلى رأسها مالك بن عوف. وكانت الطائف مدينة محصنة لها أبواب تغلق عليها كأكثر العرب في ذلك العصر، وكان أهلها ذوي دراية بحرب الحصار، وذوي ثروة طائلة جعلت حصونهم من أمنع الحصون قاطبة.

وقال أبو منصور: الطائف العاسّ بالليل، وأما الطائف التي بالغور فسميت طائفا بحائطها المبني حولها المحدق بها، والطائف والطيف في قوله تعالى: ﴿**إذا مسهم طائف من**

الشيطان﴾[100] وقوله تعالى: ﴿**فطاف عليهم طائف من ربك وهم نائمون**﴾ [101]، ولا يكون الطائف إلا ليلا ولا يكون نهارا.

وقالوا الطائف: هو واد وجّ " موضع بالطائف " وهو بلاد ثقيف، بينها وبين مكّة اثنا عشر فرسخا، وجُل أهل الطائف ثقيف وحُمير وقوم من قريش.

وقال ابن عباس: سّميت الطائف لأنّ إبراهيم – عليه السّلام – لما أسكن ذريته مكّة وسأل الله أن يرزق أهلها من الثمرات أمر الله عزّوجل قطعة أن تسير بشجرها حتى تستقر بمكان الطائف فأقبلت وطافت بالبيت ثم أقرها الله بمكان الطائف لطوافها بالبيت.

وهي طيبة الهواء شمالية ربما جمد فيها الماء في الشتاء، وفواكه أهل مكّة منها، والجبل الذي هي عليه يقال له غزوان[102].

وبلغ المسلمون الطائف، فأمر النبي – صلّى الله عليه وسلم – عسكره، فنزل على مقربة منها وجمع أصحابه ليفكروا فيما يصنعون، لكن ثقيفاً ما لبثت حين رأتهم من أعلى حصونها أن نالتهم بالنبل وقتلت جماعة منهم، ولم يكنْ من اليسير أن يقتحم المسلمون هذه الحصون المنيعة، فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – فنقل العسكر بعيداً عن مرمى النّبل في مكان أقيم به مسجد الطائف بعد أن سلمت الطائف وأسلمت.

وكان لبني "دَوْس"[103] علم بالرماية بالمنجنيق وبمهاجمة الحصون في حماية "الدّبّابات"[104]، وكان أحد رؤسائها الطّفيل قد صحب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – منذ غزا خيبر، وكان معه عند حصار الطائف، فأوفده النبي – صلّى الله عليه وسلّم – إلى قومه يستنصرهم.

فجاء بطائفة ومعهم أدواتهم وعدتهم، ورمى المسلمون الطائف بالمنجنيق، وبعثوا إليها بالدّبّابات، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، لكنّ رجال الطائف كانوا من المهارة بحيث أكرهوا هؤلاء على أن يلوذوا بالفرار، فقد أحموا قطعاً من الحديد بالنار، حتى إذا انصهرت ألقوها على الدبابات فحرّقتها، ففرّ جنودُ المسلمين من تحتها خيفة أن يحترقوا، فرمتهم ثقيف بالنّبل فقتلت جماعة منهم، لم يفلح هذا المجهود، ولم يستطع المسلمون التغلب على مناعة تلك الحصون [105].

وماذا عساهم بعد ذلك يصنعون أمام تلك الحصون وأهلها؟

استمهل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صحابته، ثم نادى في ثقيف إنه معتق من جاء إليه من أهل الطائف، ففروا إليه قرابة عشرين من أهلها، عرف منهم أن بالحصون من الذخيرة ما يكفي أمداً طويلاً، وبناءً على تلك المعلومات القيّمة آثر الرسول – صلّى الله عليه وسلم– أن يرفع الحصار بعد شهر من وقوعه علما أن الحصار حرب كما يعرف عند العسكريين.

وفي غزوة الطائف، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: حاصر رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – أهل الطائف فلم ينل منهم شيئا، فقال: "إنّا قافلون إنْ شاء الله تعالى، قال أصحابه: نرجع ولم نفتتِحه؟ فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– "**اغدوا على القتال**" فغدوا عليه، فأصابهم جراح، فقال لهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: "**إنّا قافلون غداً**" فأعجبهم ذلك، فضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم–"[106].

وانصرف رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – والمسلمون معه عن الطائف قافلين إلى مكّة حتى نزلوا الجِعْرانة (مكان) حيث تركوا غنائمهم وأسراهم.

وقال رجل من أصحاب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم ! فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " **اللهم اهدِ ثقيفاً وآت بهم**".

وأقبل رجال هوازن مسلمين، فعطف عليهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وردّ المسلمون نساء هوازن وأبناءها بعد أن أعلنت إسلامها.

وقد اشار القرآن الكريم إلى اسلام هوازن وأن الله يتوب على من يشاء من عباده بقوله تعالى: ﴿ **ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم** ﴾ [107]

ويذكر أنّ حنيناً والطائف آخر غزوات النبي – صلّى الله عليه وسلّم – لمشركي العرب.

كما أنّ حنيناً من الغزوات الهامة التي وقعت عقب فتح مكة، وسمّاها القرآن باسمها فهي الواقعة الوحيدة التي ذكر اسمها في الآيات الواردة عنها. لكي تبقى درسا للأمة في كل زمان ومكان.

الخاتمة

وبعد؛ فهذا البحث تناول أهمية اختيار المكان ودوره في صناعة الحدث في بعض غزوات الرسول – صلّى الله عليه وسلّم –، وقد تم اختيار غزوة بدر، وأحد وحُنين والطائف، حيث أن تلك الغزوات كانت فتحاً مبينا للمسلمين، لا سيما غزوة بدر التي أرست دعائم الدولة الاسلامية.

ولعلنا لا نجانب الصواب عندما نؤكد أنّ مكان الغزوة كان عنصراً بارزاً في احراز النصر، وذاكرة حيّة خصبة رسمت تأريخ الأمة الاسلامية.

وفي هُدى تلك المعطيات تبيّن أن للمكان أهمية بوصفه ذاكرة الامّة التي تدوّن الحدث بجزئياته وهو ميدان خصب لكثير من الباحثين والدارسين في هذا المجال، وبانت الحاجة تلح على دراسات مستفيضة تتناول الأمكنة التي ترتبط بأحداث جلل تحكى تأريخ أمة، ففي المكان يجد التاريخ ذاكرته وملاذه

ومأواه. فنحن نفكر عبر المكان ونتذكر ما دار حوله من أحداث.

وجدير ذكره، أن المكان الذي رسمناه مكان مميز، وله خصوصيته وعبقه، فهو لا يقتصر على بعده الجغرافي المكاني فحسب،بل يحمل بعداً دينيا واخلاقيا وتاريخيا وسياسيا وحضاريا وتربويا ومن هذا انبثقت أهمية الدراسة، كما أن تلك الأبعاد كلها انصهرت في بوتقة المكان وتعانقت مع الحدث والزمن وأسست تاريخا مجيداً نزهو به.

الهوامش

(1) لسان العرب، دار صادر مادة (غزا)، ص124.
(2) جرار المكان في الثقافة الوطنية، وثائق المؤتمر الثقافي السادس.
(3) مختصر صحيح مسلم، الحديث (789)، ص 206.
(4) النيسبوري، كتاب التحرير، ج4، ص126.
(5) سورة الإسراء، الآية 1.
(6) رواه ابن ماجة انظر: صحيح ابن ماجه 2برقم 2523 الألباني البداية والنهاية (3 / 178).
(7) القالة: الكلام الردىء.
(8) وجِدَةٌ: الغضب.
(9) لعاعة بالضم: البقية اليسرة.
(10) ابن هشام، سيرة النبي، ج 4، ص114،113.
(11) سورة آل عمران الآية 123–127.
(12) ابن حجر، فتح الباري بشرح البخاري، ح8، ص 287.
(13) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية القاهرة، ص40.
(14) المباركفوري، روضة الأنوار في سيرة النبيّ المختار، ط6،ص 68 – 169.
(15) الزّمخشريّ، الكشاف، ط2، ص 187.
(16) ابن كثير، ص400.
(17) سورة الأنفال، الآية 5.
(18) صفوة البيان لمعاني القرآن، ص 234.
(19) آل عابد، حديث القرآن، ج1، ص58.
(20) سورة الأنفال الآية 6 – 10.
(21) روضة الأنوار، مرجع سابق ص 168، وفتح الباري، ج 8، مرجع سابق ص 287.
(22) سورة المائدة، الآية 24.
(23) برك الغماد – موضع بناحية اليمن، ويقال: هو أقصى حجر.
(24) عندما ندب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للعير، انتدب 313 رجلاً – عليهم وقيل 314، وقيل 317 رجلاً 82 أو 83 أو 86 من المهاجرين و61 من الأوس، و170 من الخزرج. ولم يتخذ هؤلاء أهبتهم الكاملة فلم يكن معهم إلا فرسان وسبعون بعيرا فقط. روضة النوار، مرجع سابق؛ ص 168.
– وفتح الباري، مرجع سابق، ص 292 – 294.
(25) ابن هشام، سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم –، ج1، ص 253– 254.
– الكشاف، مرجع سابق، ص 187 – 188.
– وفتح الباري، مرجع سابق، ص 288.
(26) سورة الأنفال، الآية 11.
(27) سورة الأنفال، الآية 42.
(28) العَقَنْقَل في الأصل: الكثيب من الرمل المتراكم.
(29) القُلُبُ: جمع قليب، وهو البئر " يذكر ويؤنث".
(30) الدّهس: كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملاً.
(31) لبّد لهم الأرض: معناه جعل ترابها لا يثور، وسهل لهم السير فيه.
(32) نغوّر: تروى هذه الكلمة بالعين المهملة، ومعناها على ذلك نفسد، وذلك بأن يقذفوا في القلب أحجاراً وتراباً حتى ينضب ماؤها. فسيفسدونها على أعدائهم، وتروى بالغين المعجمة، ومعناها حينئذٍ نجعله يغور في الأرض، وهو قريب من سابقه.
(33) هارون، ص 143.
(34) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 252/4.
(35) الخيلاء – بضم ففتح –: التكبر والإعجاب بالنفس.
(36) تحادّك: تعاديك، وتمتنع عن طاعتك.
(37) أحنهم:أهلكهم، أفعل من الحين، وهو الهلاك، وقد سقطت عينه التي هي الياء. وحان: هلك.
(38) سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم –، مرجع سابق ص 259 – 261.
(39) مخلوف ص 240.
(40) التيات أمرهم: اختلاطه.
(41) خَبَار: ما لان من الأرض واسترخى.
(42) شخص بالرجل: ورد عليه أمر أقلقه.
(43) الكشاف؛ مرجع سابق؛ ص212.
(44) سورة القمر، الآية 46،45.
(45) مخلوف ص685.
(46) ابن هشام، ج2، ص 315.
(47) المرجع نفسه 321.
(48) آل عابد، حديث القرآن الكريم، ج1، ص63.
(49) سورة الدخان آية 16.
(50) مخلوف صفوة البيان لمعاني القرآن
(51) فتح الباري ص 348.

(52) فتح الباري ص380 – 381.
(53) معجم البلدان الحموي، م 1، ص 109.
(54) السّبخة: أرضٌ ذات ملح، ونزّ لا تكاد تنبت، وجمعها سباخ، ونقول انتهينا إلى سبخة يعني الموضع.
(55) حياة محمد ص 238.
(56) العرض (بكسر العين وسكون الراء): هنا كل واد فيه شجر لم يزرع، جمع أعراض، المعجم الوسيط ص594.
(57) الاحابيش: من اجتمع إلى العرب، وانضم إليهم من غيرهم، والتحابش: التّجمع في كلام العرب، سيرة ابن هشام، ص157
(58) حياة محمد ص 238– 239
(59) مرجع سابق، ص239.
(60) سورة آل عمران الآية 121، 122.
(61) الاكتفاء م1، ج 2 ' ص87.
(62) الأمة:الدّرع، وربما سمّي السّلاح كلّه لأمة.
(63) الشيخان: موضع كان به في الجاهلية أطمان فيهما شيخ أعمى وعجوز عمياء يتحدثان، فسمي المكان الشيخين لذلك، حياة محمد، ص303.
(64) آل عابد، أبو بدر محمد بن بكر، ص 154.
(65) هارون عبد السلام ص 159.
(66) أزالوهم وغلبوهم، سيرة ابن هشام ص164.
(67) سورة آل عمران الآية 153.
(68) آل عابد، أبو بدر محمد بن بكر، ج 1،ط1، ص 174
(69) ابن كثير ص 414.
(70) المهراس: ماء بأحد، أو حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ويودع فيه الماء.
(71) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان1792، ص 791.
(72) الحافظ المنذري، صحيح مسلم، حديث 1162، ص 72.
(73) سورة آل عمران الآية 128.
(74) سيرة ابن هشام ص 168.
(75) فتح الباري ص 349.
(76) سورة آل عمران الآيات 139، 140، 141، 142، 143.
(77) رياض الصالحين، الحديث " 640"، ص 425.
(78) سورة آل عمران الآية 140.
(79) سورة آل عمران الآية 165.
(80) مخلوف، ص 101.
(81) سورة آل عمران الآية 159
(82) حنين: وادٍ يقع قبل الطائف يراه الذاهب من مكة إلى الطائف من طريق السيل بالقرب من الشرائع المعروفة اليوم،آل عابد ص587.
(83) آل عابد، حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول – صلّى الله عليه وسلم –، ص 587.
(84) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ص313.
(85) هي قبيلة من قيس سكنت الطائف وما حولها، لسان العرب، ج3،ص 133.
(86) أوطاس: واد في ديار هوازن يقال له: مجال الخيل (سيرة ابن هشام ص 262).
(87) حياة محمد ص342 –343، وروضة الأنوار ص 298، وسيرة النبي ج 4، ص52–53.
(88) حياة محمد ص 343.
(89) سورة التوبة الآية 25– 27.
(90) الكشاف 2/ 246، قال الآلوسي: وقوله: (ويوم حنين) معطوف على محل مواطن وعطف ظرف الزمان على ظرف المكان وعكسه جائز ص 596، آل العابد ج2.
(91) أطنبوا: بالغوا وأكثروا.
(92) حياة محمد 344 فتح الباري 91/9.
(93) صيّتاً: أي يسمع صوته من مكان بعيد، رياض الصالحين، حديث" 1848"، ص1008.
(94) مختصر صحيح مسلم ص 84، أصحاب السّمرة: أصحاب المسماة بالسّمرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، كما قال تعالى: ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذْ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾.
(95) مختصر صحيح مسلم – للحافظ المنذري، الحديث (1719)، ص220.
(96) صفوة التفاسير،م1، ص529.
(97) الجِعْرانة: بكسر أوله اجماعا ثم إن أصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون راءه، وهي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي صلى الله عليه وسلم لما قسّم غنائم هوازن، من غزاة حنين. وقال ابو العباس القاضي: أفضل العمرة لأهل مكة ومن جاورها من الجعرانة لأن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – اعتمر منها وهي من مكة على بريد من طريق العراق، الحموي، معجم البلدان،م2، دار صادر – بيروت ص142.
(98) حياة محمد: ص 344 – 345.
(99) للحافظ المنذري، مختصر صحيح مسلم، ص 62.
(100) سورة الأعراف الآية 201.
(101) سورة القلم الآية 19.
(102) الحموي، ياقوت معجم البلدان، م4 ص 8–9.
(103) إحدى القبائل المقيمة بأسفل مكة.
(104) الدّبابة: آلة من آلات الحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها، سيرة ابن هشام ص 27.
(105) حياة محمد 346 – 347.
(106) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري، الحديث (1192)، ص 85، سيرة النبي ج 4، ص 99–100.
(107) سورة التوبة الاية (27).

المصادر والمراجع

أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، دار إحياء التراث.

البوطي، محمد سعيد رمضان، 2003 فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط1991/11م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق – سورية.

الحموي، ياقوت، معجم البلدان، م1، م2،م4 دار صادر بيروت.

الخوارزمي، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف؛ عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ حققها وخرّج أحاديثها وعلّق عليها على نسخة خطيّة؛ عبد الرزاق المهدي 1421هـ، 2001 م، دار إحياء التراث العربي، ط2مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

الصابوني، محمد علي 1981م، صفوة التفاسير، م1،م3، ط4، دار القرآن الكريم، بيروت.

الصالح، صبحي، منهل الواردين شرح رياض الصالحين للإمام الحافظ محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النوويّ، المتوفى 676 هـ، ط1 1970، ط2 1973، دار العلم للملايين، بيروت.

آل عابد، أبو بدر محمد بن بكر، حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم –،ج1، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.

عبد الباقي، محمد فؤاد، 1977، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت 1792، الحديث: (1792).

العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل، المعروف بابن حجر، 1378هـ، 1959 م فتح الباري بشرح البخاري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

الكلاعي، أبو الربيع بن سليمان موسى، الاكتفاء بما تضّمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء. تحقيق محمد كمال الدين 1997، عز الدين علي، عالم الكتب، م1، ج2، ط1.

ابن كثير، الحافظ عماد الدين، أبي الفداء، المتوفى 774هـ، تفسير القرآن العظيم،ج1، إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

المباركفوريّ، صفي الرحمن، روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، 1430هـ، ط6، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد؛ المملكة العربية السعودية.

ابن منظور، لسان العرب – دار صادر، م 3، ص24.

مخلوف، حسين محمد، 1987م، صفوة البيان لمعاني القرآن، ط3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

المنذري، الحافظ، مختصر صحيح مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إحياء التراث الإسلاميّ، الحديث: (789).

النيسبوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القسيري، الجامع الصحيح،ج4، كتاب التحرير، القاهرة.

هارون، عبد السّلام، 1977، تهذيب سيرة ابن هشام، ط5، دار البحوث العلمية، الكويت.

هيكل، محمد حسين، حياة محمد، ط11، دار المعارف بمصر.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، سيرة النبي، راجع أصولها، وضبط غريبها، وعلّق حواشيها، ووضع فهارسها؛ محمد محي الدين عبد الحميد؛ كتاب التحرير، القاهرة 1382هـ، ج4.

An Investigation of the Importance of Place and Event in the Prophet's Raids "may God Bless Him"

*Halah H. Baidas, Shawkat A. Darwish**

ABSTRACT

This study highlights and investigates the importance of "place" in some of the Prophet's raids. It also considers the role played by "place" in achieving victory. Place is a crucial pillar in the life of both the individual and society [for man fuses into the crucible of place its horizons, and overlooks both place and time.

While the role of "time" is symbolised by the month of Ramadan, "place" is represented by the holy cities of Mecca, Madina and Jerusalem.

Man is attached to place and yearns especially to encounter reminiscences of "victory". This longing becomes linked to "place", thus becomes familiar to man.

The research highlights the importance of "place" in the chronicles of Islam especially in choosing the scenes of raids. We follow up on these raids to recall reminiscences about them. The place is worth remembering for it was in a theatre of events that took place in their realm. Recalling the memory of "place" establishes a basis for a renewed vision which vividly represents the reality which we live.

Keywords: Place, Badr, Uhud, Hunayn, Taif.

* Language Center, The University of Jordan. Received on 25/6/2013 and Accepted for Publication on 3/10/2013.